المحاضرة 10/11 الفنون النثرية المعاصرة(قصة)/الفن القصصي

تحليل قصة " في القطار " للأديب "محمود تيمور "

1 ـ دور الأدب في المجتمع:

يُعتبر الأدب من أهم أساليب التعبير عن الحياة التي تدور حولنا، فما هو إلا انعكاس لما يعيشه الأديب وما يجري حوله من أحداث، وأوساط ومجتمعات، وشخصيات. والأدب مرآة تعكس واقع المجتمع وصفاته، وينشأ من حياة الفرد وما يدور فيها من أحداث، فإن لم تكن كذلك فما هي إلا صورة مزيفة من محض خياله ليس لها إلى قلب القارئ من سبيل.

ومن أهم الخصائص التي يجب على الأديب أن يتحلى بها من، وجهة نظر الكاتب محمود تيمور: نفوذ البصيرة. رقة المشاعر والإحساس، وتذوق الجمال. يقظة الوجدان صفاء الروح. التحلي بالنزعة الإنسانية.

2 ـ تعريف القصة:

يعرفها بعض النقاد بأنها:

حكاية مصطنعة مكتوبة نثرا تستهدف استثارة الاهتمام سواء أكان ذلك بتطور حوادثها أو بتصويرها للعادات والأخلاق أو بغرابة أحداثها.

الأنواع القصصية:

1 ـ الرواية: هي أكبر الأنواع القصصية حجما.

2- ـ الحكاية : وهي وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة.

3- ـ القصة القصيرة: تمثل حدثا واحدا، في وقت واحد وزمان واحد، يكون غالبا أقل من ساعة وهي حديثة العهد في الظهور.

4- ـ الأقصوصة: وهي أقصر من القصة القصيرة وتقوم على رسم منظر.

5- ـ القصة: وتتوسط بين الأقصوصة والرواية ويحصر كاتب الأقصوصة اتجاهه في ناحية ويسلط عليها خياله، ويركز فيها جهده، ويصورها في إيجاز

. عناصر القصة:

1- الموضوع :

يختار القاص موضوعه من :

أ- تجاربه : متناولا النفس البشرية وسلوكها وأهوائها .

ب- تجارب الآخرين : متناولا المجتمع بالنقد والتحليل .

ج- ثقافته : متناولا موضوعات فكرية وفلسفية .

د - من التاريخ : متناولا نضال الشعوب والأحداث الوطنية والسياسية .

هـ - من الوثائق

2- الفكرة (فكرة القصة):

هي وجهة نظر القاص في الحياة ومشكلاتها التي يستخلصها القارئ في نهاية القصة .وعلى القاص أن يتجنب

الطرح المباشر؛ لئلا يسقط في هاوية الوعظ والإرشاد .

3- الحدث:

هو مجموعة الأعمال التي يقوم بها أبطال القصة ومعاونيها ، وتكون في الحياة مضطربة ثم يرتبها القاص في قصته بنظام منسق لتغدو قريبة من الواقع .

4- الحبكة

هي فن ترتيب الحوادث وسردها وتطويرها.والحبكة تأتي على نوعين هما:

1- الحبكة المحكمة : وتقوم على حوادث مترابطة متلاحمة تتشابك حتى تبلغ الذروة ثم تنحدر نحو الحل.

2. - الحبكة المفككة : وهنا يورد القاص أحداثا متعددة غير مترابطة برابط السببية ، وإنما هي حوادث ومواقف وشخصيات لا يجمع بينها سوى أنها تجري في زمان أو مكان واحد.

5- البيئتان الزمانية والمكانية:

البيئة المكانية :هي الطبيعة الجغرافية التي تجري فيها الأحداث ، والمجتمع والمحيط وما فيه من ظروف وأحداث تؤثر في الشخصيات .

البيئة الزمانية :هي المرحلة التاريخية التي تصورها الأحداث

6- الشخصيات:

1- شخصيات رئيسية : تلعب الأدوار ذات الأهمية الكبرى في القصة .

2. - شخصيات ثانوية : دورها مقتصر على مساعدة الشخصيات الرئيسة أو ربط الأحداث.

أنواع الشخصيات بحسب الثبات والظهور

1.شخصيات نامية : تتطور مع الأحداث .

2.شخصيات ثابتة : لا يحدث في تكوينها أي تغيير ، وتبقى تصرفاتها ذات طابع واحد لا يتغير .

الطرق التي يعرض بها القاص شخصياته:

1- الطريقة التحليلية : وفيها يرسم القاص شخصيته وعواطفها ويعقب على تصرفاتها .

2. - الطريقة التمثيلية : وفيها ينحّي القاص ذاته ، ويترك الشخصية تعبر عن طبيعتها من خلال تصرفاتها

7- العقدة والحل:

تأزم الأحداث وتشابكها قبيل الوصول إلى الحل ، هل من الضروري أن يكون لكل عقدة حل؟

ليس من الضروري ذلك ، فيمكن أن تكون نهاية القصة مفتوحة، تستدعي القارئ أن يضع النهاية بنفسه وبخياله .

<u>تعريف الأديب "محمود تيمور"</u>

هو محمود أحمد تيمور، شيخ القصة العربية، وُلد في أسرة اشتهرت بحبها وعشقها للأدب والعلم وخدمة العلم، والده العلامة أحمد تيمور كرّس حياته وماله لخدمة التراث والأدب العربي، فترك إرثاً عظيماً للأدباء والعلماء من بعده، وهي المكتبة التيمورية والتي لا زالت موجودة إلى يومنا هذا قائمةً في دار الكتب المصرية، وعمته الشاعرة عائشة التيمورية والتي سطع نجمها في زمن خلت فيه الأديبات والمبدعات من النساء، أما شقيقه فهو الأديب والكاتب المسرحي محمد تيمور.

وُلد الكاتب محمود تيمور في 16 حزيران من عام 1894م في قرية درب السعادة في القاهرة. قضى محمود تيمور طفولته في هذه القرية واختلط بأهلها وجالسهم واستمع إلى أحاديثهم ولعب مع أطفالهم، ثم انتقل مع أسرته إلى ضاحية عين شمس في الريف، ثم ما لبث أن عاد إلى حي الحلمية في القاهرة، وهو حي عُرف عن ساكنيه أنهم من العلماء وأصحاب الجاه والموظفين، أما محمود تيمور فقد كان يقصد الريف ليقضي فيه إجازاته الصيفية، فعاشر فيه الفلاحين وألف حياتهم وجلساتهم. هذه الحياة التي قضاها محمود تيمور في البيئات المتنوعة التي عاشها بين الريف والمدينة، أكسبته حساً بالوطنية، وقربته من الحياة الشعبية، وكان لهذه الخبرة دوراً كبيراً في أدبه حيث نهل من بحرها ما استطاع ليكون لنفسه ينبوعاً يروي منه كتاباته ومؤلفاته.

حياة محمود تيمور الدراسية

بالنسبة لحياة محمود تيمور الدراسية فقد التحق بالمدارس المصرية في المرحلة الابتدائية، ثم التحق بمدرسة الزراعة العليا في المرحلة الثانوية، ولكن سرعان ما اضطر إلى ترك الدراسة بسبب مرض التيفوئيد الذي فاجأه في بداية دراسته في مدرسة الزراعة العليا، وكان سبباً لانقطاعه عن الدراسة. وفي فترة مرضه وجد محمود تيمور في القراءة والمطالعة ما يشغل به وقت فراغه ويقلل من آلامه ويقضي به على مللله، فتفرّغ لدراسة الأدب العربي والآداب العالمية، وكان ذلك بتشجيع من والده وشقيقه محمد تيمور، كما وجهه شقيقه وشجعه لقراءة كتاب (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي، وقصة (زينة) للكاتب هيكل، إلى جانب الكتب والروايات التي قرأها محمود تيمور للكثير من الكتاب والأدباء الأجانب، كما تأثر محمود تيمور بالأديب الفرنسي موباسان والأديبين الروسيين تشيكوف وتورجنيف.

بداية محمود تيمور الأدبية

حرص محمود تيمور على حضور الندوات الأدبية والتي كانت تقام في منزل والده، وكانت هذه الندوات تضم العديد من الأدباء، والعلماء، والشعراء، مثل الشيخ محمد عبده، والشيخ الشنقيطي، والشاعر محمود سامي البارودي، وغيرهم الكثير من رجالات الأدب، والعلماء، والشعراء. أما عن بداية محمود تيمور الأدبية فكانت عام 1925م وذلك عندما نشر مجموعته القصصية الأولى والتي كانت بعنوان (الشيخ جمعة) والتي كان قد كتبها باللهجة العامية ثم بعد ذلك قام بتعديلها إلى اللغة الفصحى لأنها الأكثر انتشاراً، كما قام بتعديل بعض عناوين القصص فيها مثل قصة (أبو علي عامل الأرتيست) والتي عدّل عنوانها إلى (أبو علي الفنان)، أما مجموعته القصصية الثانية فكانت عام 1926م وكانت بعنوان (عم متولي)، ثم تلتها (سيد عبيط)، ثم (حواء الخالدة)، والعديد من مؤلفات محمود تيمور والتي بلغت الستين كتاباً، منها القصة، والرواية، والقصص المسرحية، والدراسات اللغوية، وغيرها الكثير من الفنون التي برع فيها الكاتب محمود تيمور، وقد تمت ترجمة أعمال الكاتب محمود تيمور إلى عدة لغات أجنبية مثل الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والألمانية.

المكانة الأدبية للكاتب محمود تيمور

بلغ محمود تيمور مكانة أدبية عظيمة فها هو الأديب طه حسين يقول ((فإذا قيل إنك أديب مصري ففي ذلك غض منك، وإذا قيل إنك أديب عربي، ففي ذلك تقصير في ذاتك، وإنك لتوفى حقك إذا قيل أنك أديب عالمي، بأدق معاني الكلمة، وأوسعها، وأعمقها، ولا أكاد أصدق أن كاتباً مصرياً- لم يكن شأنه- قد وصل إلى الجماهير المثقفة، وغير المثقفة، كما وصلت أنت إليها؛ فلا تكاد تكتب، ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما تكتب- حتى يصل إلى

قلوبهم، كما يصل الفاتح إلى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كله)). ولما له من مكانة عظيمة في الأدب حاز محمود تيمور على الكثير من الجوائز والأوسمة منها:

في 5 نيسان من عام 1947م احتفل أعضاء مجمع الخالدين بدار الجمعية الجغرافية بتتويج محمود تيمور احتفالاً بإنتاجه القصص باللغة العربية الفصحى، ثم تم اختياره من قبل أعضاء المجمع ليصبح عضواً في المجمع عام 1949م. في عام 1950م حصل على جائزة الأدب عن كتابيه (إحسان لله) و(كل عام وأنتم بخير). في عام 1951م حصل على جائزة أحسن كتاب شرقي ترجم إلى الفرنسية. في عام 1962م حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب. في عام 1963م تم منحه وسام العلوم والفنون تكريماً لأدبه وفنه. في عام 1962م تم اختياره من قبل المجمع العراقي، والمجمع اللغوي المجري عضواً فيهما، كما قامت كل من مدرسة اللغات في روسيا موسكو، وجامعة بودابست بالمجر بالاحتفال بمولده في العام نفسه. وفاة الكاتب محمود تيمور في يوم 25 آب من عام 1973 توفي الكاتب الأديب محمود تيمور في مدينة لوزان بسويسرا عن عمر ناهز 79 عاماً.

<u>قصة "في القطار" لمحمود تيمور :</u>

أول قصة قصيرة مصرية مؤلفة للأديب (محمد تيمور)، وهي تعكس أفكار وآراء وملامح النظرات الاجتماعية التي كانت سائدة.

<u>النص :</u>

صباح ناصع الجبين يجلي عن القلب الحزين ظلماته، ويرد للشيخ شبابه، ونسيم عليل ينعش الأفئدة، ويسري عن النفس همومها، وفي الحديقة تتمايل الأشجار يمنة ويسرة، وكأنها ترقص لقدوم الصباح، والناس تسير في الطرقات، وقد دبت في نفوسهم حرارة العمل، وأنا مكتئب النفس أنظر من النافذة لجمال الطبيعة، وأسأل نفسي عن سر اكتئابها فلا أهتدي لشيء، وتناولت ديوان (موسيه) وحاولت القراءة فلم أنجح فألقيت به على الخوان، وجلست على مقعد واستسلمت للتفكير، كأنني فريسة بين مخالب الدهر.

مكثت حينا أفكر ثم نهضت واقفاً وتناولت عصاي وغادرت منزلي وسرت وأنا لا أعلم إلى أي مكان تقودني قدماي، إلى أن وصلت إلى محطة باب الحديد، وهناك وقفت مفكراً، ثم اهتديت للسفر ترويحاً للنفس، وابتعت تذكرة، وركبت القطار للضيعة، لأقضي فيها نهاري بأكمله.

جلست في إحدى عربات القطار بجوار النافذة، ولم يكن أحد سواي وما لبثت في مكاني حتى سمعت صوت بائع الجرائد يطن في أذني (وادي النيل، الأهرام، المقطم) فابتعت إحداها وهممت بالقراءة، وإذا بباب الغرفة قد انفتح، ودخل شيخ من المعممين، أسمر اللون، طويل القامة، نحيق القوام، كث اللحية، له عينان أقفل أجفانهما الكسل، فكأنه لم يستيقظ من نومه بعد، وجلس الأستاذ غير بعيد عني، وخلع مركوبه الأحمر قبل أن يتربع على المقعد، ثم بصق على الأرض ثلاثاً ماسحاً شفتيه بمنديل أحمر، يصلح أن يكون غطاء لطفل صغير، ثم أخرج من جيبه مسبحة ذات مائة حبة وحبة، وجعل يردد اسم النبي والصحابة والأولياء الصالحين فحولت نظري عنه، فإذا بي أرى في الغرفة شاباً لا أدري من أين دخل علينا، ولعل انشغالي برؤية الأستاذ منعني أن أرى الشاب ساعة دخوله.

نظرت إلى الفتى، وتبادر إلى ذهني أنه طالب ريفي انتهى من تأدية امتحانه، وهو يعود إلى ضيعته ليقضي أجازته بين أهله وقومه، نظرت إلى الشاب كما نظر إليّ، ثم أخرج من جيبه رواية من روايات مسامرات الشعب وهمّ

بالقراءة، بعد أن حول نظره عني وعن الأستاذ، ونظرت إلى الساعة راجياً أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا مسافر رابع، فإذا بأفندي وضاح الطلعة، حسن الهندام، دخل غرفتنا وهو يتبختر في مشيته ويردد أنشودة طالما سمعتها من باعة الفجل والترمس، جلس الأفندي وهو يبتسم واضعاً رجلاً على رجل بعد أن أقرأنا السلام، فرددناه رد الغريب على الغريب.

وساد السكون في الغرفة، والتلميذ يقرأ روايته، والأستاذ يسبح وهو غائب عن الوجود، والأفندي ينظر لملابسي طوراً وللمسافرين تارة أخرى، وأنا أقرأ وادي النيل، منتظراً أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا زائر خامس.

مكثنا هنيهة لا نتكلم كأن ننتظر قدوم أحد، فانفتح باب الغرفة ودخل شيخ يبلغ الستين، أحمر الوجه، براق العينين، يدل لون بشرته على أنه شركسي الأصل، وكان ممسكاً مظلة أكل عليها الدهر وشرب، أما حافة طربوشه فكانت تصل إلى أطراف أذنيه، من أين هم قادمون، وإلى أين هم ذاهبون، ثم سمعنا صفير القطار ينبئ الناس بالمسير، وتحرك القطار بعد قليل، يقل من فيه إلى حيث هم قاصدون.

سافر القطار ونحن جلوس لا ننبس ببنت شفة، كأنما على رؤوسنا الطير، حتى اقترب من محطة شبرا، فإذا بالشركسي يحملق فيّ ثم قال موجهاً كلامه إليّ:

- هل من أخبار جديدة يا أفندي؟

فقلت وأنا ممسك بالجريدة بيدي:

- ليس في أخبار اليوم ما يستلفت النظر، اللهم إلا خبر وزارة المعارف بتعميم التعليم ومحاربة الأميّة.

ولم يمهلني الرجل أتم كلامي، لأنه اختطف الجريدة من يدي دون أن يستأذنني وابتدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه، ولم يدهشني ما فعل، لأني أعلم الناس بحدة الشراكسة، وبعد قليل وصل القطار محطة شبرا، وصعد منها عمد القليوبية، وهو رجل ضخم الجثة كبير الشارب، أفطس الأنف، له وجه به آثار الجدري، تظهر عليه مظاهر القوة والجهل، جلس العمدة بجواري، بعد أن قرأ سورة الفاتحة وصلى على النبي، ثم سار القطار قاصداً قليوب.

مكث الشركسي قليلاً يقرأ الجريدة، ثم طواها وألقى بها على الأرض وهو يحترق من الألم، وقال:

- يريدون تعميم التعليم ومحاربة الأمية حتى يرتقي الفلاح إلى مصاف أسياده، وقد جهلوا أنهم يجنون جناية كبرى.

- وأية جناية؟

- إنك مازلت شاباً لا تعرف العلاج الناجح لتربية الفلاح.

- وأي علاج تقصد؟ وهل من علاج أنجح من التعليم؟

فقطب الشركسي حاجبيه وقال بلهجة الغاضب:

- هناك علاج آخر..

- وما هو؟

فصاح بملء فيه صيحة أفاق لها الأستاذ من نومه وقال:

- السوط. إن السوط لا يكلف الحكومة شيئاً، أما التعليم فيتطلب أموالاً طائلة، ولا تنس أن الفلاح لا يذعن إلا للضرب لأنه اعتاده من المهد إلى اللحد.

وأردت أن أجيب الشركسي، ولكن العمدة – حفظه الله- كفاني مئونة الرد، فقال للشركسي وهو يبتسم ابتسامة صفراء:

- صدقت يا بيه صدقت، ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت أكثر من ذلك، إننا نعاني من الفلاح ما نعاني لنكبح جماحه ونمنعه من ارتكاب الجرائم.

فنظر الشركسي إليه نظرة ارتياب، وقال:

- حضرتكم تسكنون الأرياف؟

- أنا مولود بها يا بيه.

- ما شاء الله.

جرى هذا الحديث والأستاذ يغط في نومه، والأفندي ذو الهندام الحسن ينظر لملابسه، ثم ينظر لنا ويضحك، أما التلميذ فكانت على وجهه سيما الاشمئزاز ولقد همّ بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا حياؤه وصغر سنه، ولم أطق سكوتاً على ما أفاه به الشركسي، فقلت له:

- الفلاح يا بيه إنسان مثلنا، وحرام ألا يحسن الإنسان معاملة أخيه الإنسان.

فالتفت إليّ العمدة كأني وجهت الكلام إليه، وقال:

- أنا أعلم الناس بالفلاح، ولي الشرف أن أكون عمدة في بلد به ألف رجل، وإن شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك، إن الفلاح يا حضرة الأفندي لا يفلح معه إلا الضرب، ولقد صدق البك فيما قال، وأشار إلى الشركسي.

- ولا ينبئك مثل خبير.

فاستشاط التلميذ غضباً ولم يطق السكوت، فقال وهو يرتجف:

- الفلاح يا حضرة العمدة..

فقاطعه العمدة قائلاً:

- قل يا سعادة البك، لأني حزت التربة الثانية منذ عشرين سنة.

قال التلميذ:

- الفلاح يا حضرة العمدة لا يذعن لأوامركم إلا بالضرب لأنكم لم تعودوه غير ذلك، فلو كنتم أحسنتم صنيعكم معه لكنتم وجدتم فيه أخاً يتكاتف معكم ويعاونكم، ولكنكم – مع الأسف- أسأتم إليه، فعمد إلى الإضرار بكم تخلصاً من إساءتكم، وإنه ليدهشني أن تكون فلاحاً وتنحي باللائمة على إخوانك الفلاحين.

فهز العمدة رأسه ونظر إلى الشركسي وقال:

- هذه نتائج التعليم.

فقال الشركسي:

- نام وقام فوجد نفسه قائم مقام.

أما الأفندي ذو الهندام الحسن، فإنه قهقه ضاحكاً وصفق بيديه، وقال للتلميذ:

- برافو يا أفندي، برافو.

- ونظر إليه الشركسي، وقد انتفخت أوداجه وتعسر عليه التنفس وقال:

- ومن تكون أنت؟

- ابن الحظ والأنس يا أنس.

وقهقه عدة ضحكات متوالية.

ولم يبق في قوس الشركسي منزع، فصاح وهو يبصق على الأرض طوراً، وعلى الأستاذ طورا، وعلى حذاء العمدة تارة:

- أدبسيس فلاح.

ثم سكت وسكت الحاضرون، وأوشكت أن تهدأ العاصفة لولا أن التفت العمدة إلى الأستاذ وقال:

- أنت خير الحاكمين يا سيدنا، فاحكم لنا في هذه القضية.

فهز الأستاذ رأسه وتنحنح وبصق على الأرض، وقال:

- وما هي القضية لأحكم فيها بإذن الله جل وعلا:

- هل التعليم أفيد للفلاح أم الضرب؟

فقال الأستاذ:

- بسم الله الرحمن الرحيم إن فتحنا لك فتحاً مبيناً، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (ولا تعلموا أولاد السفلة العلم).

وعاد الأستاذ إلى خموله وإطباق أجفانه مستسلماً للذهول، فضحك التلميذ وهو يقول:

- حرام عليك يا أستاذ، إن بين الغني والفقير من هو على خلق عظيم، كما بينهم من هو في الدرك الأسفل.

فأفاق الأستاذ من غشيته، وقال:

- واحسرتاه، إنكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم أخلاقكم، ونسيتم أوامر دينكم، ومنكم من تبجح واستكبر وأنكر وجود الخالق.

فصاح الشركسي والعمدة (لك الله يا أستاذ)، وقال الشركسي:

- كان الولد يخاف أن يأكل مع أبيه، والآن يشتمه ويهم بصفعه.

وقال العمدة:

- كان الولد لا يرى وجه عمته، والآن يجالس امرأة أخيه.

ووقف القطار في قليوب، فقرأت الجميع السلام وغادرتهم، وسرت في طريقي إلى الضيعة وأنا لا أكاد أسمع دوي القطار وصفيره وهو يعدو بين المروج الخضراء لكثرة ما يصيح في أذني من صدى الحديث.

<u>التحليل:</u>

الشخصيات:

- الشخصية الرئيسية:الراوي الذي يسرد الأحداث في القطار
- الأستاذ:أسمر اللون، طويل القامة، نحيل.
- الشاب الجامعي الذي أنهى تأدية الامتحانات وهو عائد إلى القرية لقضاء الإجازة
- الأفندي الذي جلس في القطار وهو يضع رجلا على رجل
- الشركسي:وهو شيخ كبير أحمر الوجه، براق العينين
- العمدة:رجل ضخم، كبير الشارب، عليه مظاهر القوة والجهل

الزمان والمكان:

تدور أحداث القصة في عربة القطار وفترة الحدث لا تتعدى ساعتين.

الأحداث:

يتحدث الراوي عن معاناته من الاكتئاب والذي يتغلب عليه بالقراءة والسفر والجلوس للتفكير ولكن هذه الأزمة تلاشت حين ركب القطار ليحل محلها أزمة اجتماعية و أزمة تعليم الفلاح والتي جعل منها محور حديث الشخصيات داخل عربة القطار.

التحليل:

إن قصة "في القطار" اعتبرت لدى كثير من النقاد والباحثين بداية التأريخ الفعلي لفن "القصة القصيرة". وهذه القيمة الدلالية لها اعتبارها في ميزان الدرس النقدي ؛ حينما نتحدث عن رائد هذا الفن، في العالم العربي؛ باحثين هن بذور التشكيل الفني لهذا البناء المعماري المحدث، فمحمد مندور الذي توفي يافعا عام(1921) قبل أن تمنحه الحياة فرصة استكمال الدور الذي بدأه، يستحق هذه الوقفة التأريخية، لدراسة نشأة وتطور القصة القصيرة ، باعتباره نقطة انطلاق لهذا الفن الجديد . مثلت هذه القصة جانبا واقعيا اجتماعيا فكريا- وإن كنا نرفض اعتبار هذه القصة أنموذجا للأدب الواقعي،حيث إن كل الأعمال الأدبية لها صلة بالواقع وليست كلها واقعية، بل إن القصة احتملت ظواهر رومانسية جعلتها - كما سيتضح- اقرب إلى هذا المدرسة الرومانتيكية - في فترة زمنية تحولية؛ تمثلت في معركة التنوير ضد مخلفات الجهل والتسلط،وعقلية" الباشوية "السلطوية، التي لا تنظر إلى ما سواها من منظور إنساني، باعتبار الفلاحين جنسا بشريا مشابها ، بل وفق اعتبارات طبقية قسمت الناس إلى فسطاطين:أسياد وعبيد، وهي قسمة عادلة في نظر الأسياد، غير قابلة للكسر والتغيير، جائرة تقتضي ثورة وإصلاحا في نظر الفقراء المتنورين.

ملامح حديثة:

أول ملمح حديث في هذه القصة هو العنوان ؛ فهو بتركيبته الثنائية يشكل نجاحا إبداعيا في الاختيار؛ حيث الاختصار والدقة والإثارة الفضول والاهتمام . العنوان " شبه الجملة " تركيب جزئي، يشكل معنى مبتورا يثير فضول القارئ ؛ وكأن معنى محذوفا يستدعى ضمن إشعاعاته

. الإطار الفني:

يمثل الإطار الفني قاعدة انطلاق إستراتيجية أو غرفة تشكيل هندسي أولية ، لبدء عملية الرسم والنسج والبناء للشخوص والسرد والحدث ، وما تبقى من عناصر القص. فهو ا- أي الإطار - يعمل مع العنوان ، كمفتاح معرفي لولوج عالم القص الحكائي المتوقع، والتعرف على تفصيلات الخطاب السردي المشكل لبنية القص . . فإذا كان العنوان بتركيبته الثنائية" في القطار" قد كشف عن إمكانية تأويلية يتحرك من خلالها الحدث في إطاره الظرفي " في القطار " الذي يشكل القطار قيمة مكانية ثابتة له، بينما يدل حرف الجر "في" على متعلقات زمانية من خلال مجريات الحدث التي تستجيب لسؤال افتراضي مؤداه : ماذا جرى؟فان الإطار يمهد الحلبة ويعدها بما يناسب فصول العرض التي ستتشكل منها الأحداث، وترسم في ساحاتها الشخصيات. وهنا، تتجلى القيمة المكانية عند تناول مواصفات مكانية يجمد معها الزمن الحكائي، بينما يتحرك الزمن مع تقدم الفعل السردي؛ ليقود عملية القص. فالإطار الفني الوصفي الذي شكل فاتحة إبداعية، لعبت لغة الأديب دورا بارزا فيها،فقد عمل بشكل واضح على بناء المناخ المناسب لتتشكل الأحداث وفق رؤية الكاتب ، وتبنى الشخصيات على عينة ،ويسير الحدث من خلال عملية السرد كما خطط له، منسجما مع الجو العام للقصة الذي فرضه الإطار الفني.وهو إطار منسجم مع القيم الفنية والمضمونية للقصة؛حيث لعبت المفارقة التصويرية دورها، حين كان الصباح ناصع الجبين، بينما البطل مكتئبا حزينا. • هذه اللوحة الفنية البديعة،التي أغرق صاحبها في استعمال الأصباغ البيانية،كشفت عن ملامح رومانسية

طريفة، تمثلت في تلك المشاهد الطبيعية من نحو،دون تعليل ،وفي بروز صورة السارد صورة فردية ؛وكأنه يريد أن يلفت نظرنا إلى مشكلته الخاصة . أما لقيمة الرمزية لكلمة "موسيه" الشاعر الفرنسي الرومانسي الشهير- التي وردت في ثنايا هذه المقدمة ؛ فهي تأكيد أخر على رومانسية النص: هذا الشاعر الذي يقول :الألم العظيم يصنع النبوغ العظيم " يشكل انطلاقة رومانسية في بناء شخصية السارد، ولعل القصة تشرح من خلال المعاناة ذلك النبوغ الذي أراد أن يمثله الكاتب في صورة المثقف.. أما الملمح الثالث من ملامح الرومانسية فقد تمثل في تلك العبارة"وقفت مفكرا ثم اهتديت للسفر ترويحا للنفس. أما معركته مع الزمن فهي دلالة أخرى على عدم القدرة على التكيف ،وهذا ملمح رومانسي رابع

. رسم الشخصيات:

استخدم القاص ضمير المتكلم في عملية السرد ؛ مما أعطاه القدرة الكاملة على رسم شخصية السارد البطل بموضوعية لتتداخل هذه الشخصية مع شخصيتي الكاتب والراوي . ثم بدأ يرسم باقي شخصيات القصة، متدخلا في تشكيلها؛ لتوافق رؤاه الفكرية والسياسية والاجتماعية ؛فنجد- مثلا - شخصية الشيخ بشكله الأسمر النحيف أنموذجا لشخصية لا ود لها، كسولة " لم تستيقظ" لا تتمتع بأدنى مستويات اللياقة والحكمة" خلع مركوبه الأحمر " وإنما فعل ذلك ليحدث في نفسية القارئ عملية انزياح وجداني ضد هذه الشخصية .وسنرى في ثنايا النص أن هذه الشخصية لعبت دورا سلبيا جعلها ضمن منظومة القيم المتخلفة التي أراد القاص نقدها. هذه الشخصية تمثل أنموذجا من نماذج منظومة القيم المسيطرة أو القديمة المتخلفة، وهي منظومة ضمت الأغلبية بين شخوص القصة الست، فبالإضافة إلى الشيخ نجد - ضمن هذه المنظومة- شخصية الشركسي، والأفندي والعمدة. أربع شخصيات ظلامية متسلطة رسمها رسما كاريكاتيريا؛ فتارة يضخم الجثة ويطيل الشارب -كما في شخصية العمدة- وطورا يكشف عن المفارقة التصويرية بين الشكل الخارجي الجذاب ، والجوهر الداخلي القبيح- كما في شخصية الأفندي - أما منظومة القيم الحديثة؛ فقد تمثلت في شخصيتين فقط :السارد المثقف ، والطالب المثقف ، وهذا الأخير يتفق مع السارد بتأثره بالغرب، فهو يقرأ الأدب الفرنسي .لكن هذه الشخصية الفتية لا تمثل القوة في المجتمع وهي شخصية حيية ،وكأن القاص أراد أن يتحدث عن بزوغ الفكر التنويري لا انتصاره أو انتشاره ، وكأننا نتحدث عن بذور بدأت تنمو في تلك المرحلة.

الحدث:

الحدث هنا تشكل بتلقائية متوقعة،فرضها منطق السرد التتابعي ، الذي بني - منذ اللحظة الأولى- وفق مسار خطي مستقيم عبر رحلة القطار، -فضاء القص المكاني-بدءا بلحظة الصعود، وانتهاء بآخر محطة، ليقفل معها الخطاب السردي. تتابع متوقع لم يكتنفه أي عنصر فجائي يشكل حبكة ساخرة ، أو تنويرا فنيا معمقا. فالسرد التتابعي جعل الحدث رتيبا ومتوقعا إلى درجة حولت القصة إلى ما يشبه التقرير الإخباري ،بل إن كثيرا من تجليات الحدث تشكلت من خلال وصف الشخصيات الذي التحم مع الإطار مما قلل عنصر التشويق والتوقع

السرد:

اعتماد السرد على الجملة الخبرية الماضية في تشكيل الحدث، متساوقا مع الزمن الحكائي ؛ جعل البناء الحكائي مسطحا ، بعيدا عن جدليات التخييل الروائي، حيث اقتربت الشخصية إلى العالم الواقعي الشكلي المنضبط، مما قلل كما قلنا، أسباب المفاجأة، وحرم المتلقي من كل أسباب المعاناة والتنقيب عن إمكانات غير محتملة لنهاية السرد، فالتقى القارئ مع الفعل "تناولت" ثم "سرت" ليسير معه - كما أراد السارد المؤلف الذي تحكم باللغة

ومجريات الحدث وطريقة السرد-إلى أن استقر في غرفة من غرف القطار، ليبدأ الزمن متحركا حركة بطيئة ساعدت في بناء التطوير النفسي للشخصية الرئيسية.

القيمة اللغوية:

احتفظت اللغة بقيمتها الانسيابية ، فرق فيه التصوير، وقلت الفروق الصوتية بين الشخصيات إلا ما ندر، من مثل قول الأفندي ذو الهندام الحسن :" برافو يا أفندي ، برافو، برافو" أما الانسيابية المتدفقة -هنا- فقد جعلت الخطاب السردي يترقرق عبر عبير النص في أريحية مؤنسة ، وتتشكل الأحداث من خللها في رتابة بديعة ، ليكتمل النص مشكلا وحدة فنية متكاملة حق لها أن تسمى قصة قصيرة.